

# ترمب يستعجل إنهاء حرب أوكرانيا... وأوروبا تواجه المأزق وحيدة

حدث الكثير منذ عودة دونالد ترمب إلى البيت الأبيض، داخليا وخارجيا وفي كل الاتجاهات. ولا شك في أن المشهد الأبرز في هذا السياق كان ما شهدته جلسة المكتب البيضاوي خلال زيارة الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، من مشادة كلامية غير مألوفة في العلاقات واللقاءات، بما يوحي أن كل شيء كان محضراً قبل الإطباق. على الزائر المتخلف عن ربطة العنق.

قفل زيلينسكي عائداً إلى أوروبا عبر لندن، حيث حاول رئيس الوزراء البريطاني كير ستارمر طمأنته إلى استمرار الدعم للصدود في وجه روسيا. كذلك فعل قادة الاتحاد الأوروبي - الذي لم تعد بريطانيا جزءاً منه - عندما استقبلوه في بروكسل بالعناق والتقاط الصور والوعود بتقديم المال والسلاح. وقد وجدها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون فرصة لترك صف «الصورة الجماعية»، والتقدم إلى واجهة المسرح ليعرض فتح مظلة الحماية النووية الفرنسية فوق أوروبا.

## الكرة في ملعب بروكسل

تحتاج أوكرانيا إلى تدفق ثابت من الأسلحة والذخائر والإمدادات لتستطيع مواصلة الحرب المستمرة منذ ثلاث سنوات، وقد أعرب زيلينسكي في الماضي عن قلقه من أن «فرصة أوكرانيا للبقاء على قيد الحياة» من دون دعم الولايات المتحدة ستكون ضئيلة.

في الوقت الراهن، سيستمر السلاح الأميركي في التدفق إلى أوكرانيا بموجب الالتزامات التي قطعتها الإدارة الديمقراطية السابقة، ما لم يقرر ترمب خلاف ذلك. وسوف يأتي المزيد من الأوروبيين الذين تعهدوا بتقديم نحو 40 مليار دولار من المساعدات العسكرية التي لم تسلم بعد. لكن هذا ليس كافياً لصد روسيا وتحقيق النصر الذي ترغب فيه أوكرانيا.

لا شك في أن ترمب يريد إنهاء الحرب والانصراف إلى الاستثمار في الأرض الأوكرانية لاستخراج المعادن الثمينة، في موازاة التقرب من

فلاديمير بوتين لأسباب عديدة ليس أقلها محاولة إبعاده عن الصين،  
الخصم الأول والمنافس الأول للعملاق الأميركي.

بالتالي تجد أوروبا نفسها أمام استحقاق كبير عليها أن توازن فيه  
بين بقاء أوكرانيا صامدة وإبقاء جسر يمكن سلوكه مستقبلاً لإعادة  
العلاقة مع موسكو؛ إذ لا يمكن لهذا التكتل الذي تبلغ مساحة دوله  
الـ27 مجتمعة 4 ملايين كيلومتر مربع أن يعادي دولة نووية مساحتها  
17 مليون كيلومتر مربع.

قبل لقاء زيلينسكي مع حلفائه في بروكسل، استبقت «وزيرة خارجية»  
الاتحاد الأوروبي كايا كالاس وصوله بقولها: «علينا دعم أوكرانيا الآن  
أكثر من أي وقت مضى». وبعد 10 ساعات من المحادثات، التقت  
لزيلينسكي صور مع رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين،  
ورئيس المجلس الأوروبي أنطونيو كوستا، على وقع قرار تحصين الدفاع  
الأوروبي بـ800 مليار يورو لا أحد يعلم من أين ستأتي.

يضاف إلى ذلك، أن دون وصول الرئيس الأوكراني إلى كل ما يبتغيه من  
الاتحاد الأوروبي عقبه اسمها فيكتور أوربان، رئيس وزراء المجر  
وصديق فلاديمير بوتين الذي سيظهر حتماً ورقة رفض انضمام أوكرانيا  
إلى «العائلة السعيدة» التي يجسدها الاتحاد. وهو استخدم حق النقض  
في قمة بروكسل ضد بيان مشترك بشأن دعم أوكرانيا، ولا سيما موقف  
الدول الأعضاء الـ26 الأخرى بأن شريكها الذي دمرته الحرب يمكنه  
تحقيق «السلام من خلال القوة»، وليس بطريقة أخرى.

في السياق، سرّب دبلوماسيون أوروبيون أن كالاس (وهي من إستونيا؛  
45 ألف كيلومتر مربع، مليون و300 ألف نسمة، الناتج المحلي  
الإجمالي 60 مليار دولار)، حاولت إقناع دول الاتحاد الأوروبي بتقديم  
مساعدة عسكرية إلى أوكرانيا خلال عام 2025 بقيمة 20 مليار يورو  
على الأقل، إلا أن جهودها فشلت في كسب التأييد بالإجماع.

لكن، وعلى الرغم من أن الاتحاد الأوروبي سيقدم لأوكرانيا 30 مليار  
يورو من القروض هذه السنة، ستترك نهاية الدعم العسكري الأميركي  
فجوة كبيرة بجهود دعم أوكرانيا في الحرب، خصوصاً فيما يتصل  
بالاستخبارات وتوفير المعلومات والإحداثيات لتوجيه الأسلحة الدقيقة  
نحو أهدافها.

الحقيقة أن آفاق أوكرانيا قاتمة. فالمساعدات الأميركية الآتية وفق  
تعهدات إدارة جو بايدن والجهود الأوروبية المستمرة، تكفي لضمود  
الجيش الأوكراني في الخطوط الأمامية، وكسب الوقت لعقد صفقة سلام

مقبولة مع روسيا. أما بعد توقف المساعدات الأميركية، وفق رؤية دونالد ترمب، فما تتلقاه أوكرانيا من الأوروبيين، وما يخرج من مصانع السلاح المحلية، مخزون كافٍ لبقاء قواتها في الميدان لكن بقدرات متدهورة. وفي المقابل ستسيطر القوات الروسية على مزيد من الأراضي، وفي نهاية المطاف ستنهال الخطوط الأوكرانية، وستضطر كيف للعقد اتفاق سلام صعب بشروط قاسية مع موسكو.

## المأزق الأوسع

موقف ترمب من حرب أوكرانيا يعكس في الواقع رؤيته المعروفة عن التزامات بلاده الأمنية في أوروبا، خصوصاً الغربية، فهو يدأب منذ سنوات على انتقاد تلك الدول الحليفة الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (ناتو) في الاضطلاع بمسؤولياتها وإنفاق ما يكفي على موازاناتها العسكرية لكي تضمن أمنها وتعزز قدراتها الدفاعية. وتردد حديثاً كلام جديد - قديم عن أنه ينوي سحب القوات الأميركية من ألمانيا التي لا تبذل برأيه الجهد الكافي لتقوية جيشها، بل تتكل على بطاقة هويتها الأطلسية والقوة العسكرية الأميركية.

وقد خيّم هذا الواقع - كما أورد عدد من وسائل الإعلام - على قمة بروكسل في ظل القلق من انسحاب عسكري محتمل للولايات المتحدة أو إعادة هيكلة لوجودها العسكري في أوروبا، بحيث تركز أكثر على حماية دول أوروبا الشرقية التي كانت ضمن دائرة نفوذ الاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة. ووصل الكلام إلى حد اعتبار التحولات في السياسة الأميركية في أوروبا واحدة من أكبر الأزمات الجيوسياسية التي تضرب القارة منذ عقود.

بالتالي، تحولت قمة بروكسل في السادس من مارس (آذار) إلى البحث في هاجس فقدان الضمان الأمني الأميركي، بينما تراجع تعزيز موقف أوكرانيا في ساحة المعركة إلى المرتبة الثانية، كأن ثمة تسليماً بأن الحرب ستنتهي بعد ثلاث سنوات من القتل والتدمير إلى نتيجة لا مهرب منها.

يتصرف دونالد ترمب على أساس أن الدولة الأصغر حجماً التي تشكل محور الحرب الدائرة في أوروبا لن تشارك في المحادثات حول مستقبلها. بل سيتولى «الأقوياء» تحديد المصير. وهكذا سيكون عليه أن يحاور بوتين الذي جزم بأنه لن يقبل بوقف إطلاق النار إذا لم يؤدي إلى التوسع الإقليمي لروسيا، وعملياً خضوع كيف سياسياً وعسكرياً لموسكو.

وئمة من يسأل هنا: هل أن استعجال ترمب إنهاء الحرب في أوكرانيا سيؤدي إلى خواتيم سعيدة، أم إنه يرتكب خطأ فرنسا وبريطانيا عندما أقنعتا تشيكوسلوفاكيا بالتنازل عن هضبة السوديت لمصلحة ألمانيا النازية بموجب اتفاق ميونيخ عام 1938 طناً أن ذلك سيجلب الاستقرار ويضمن السلام والأمان لأوروبا، فكان أن اندلعت الحرب العالمية الثانية بعد سنة من ذلك؟

انطوان الحاج

صحيفة الشرق الاوسط